obeikandl.com

obeikandl.com

الحساب

الحساب أشكاله متعددة ومشاهده كثيرة، ولكن حساب المؤمن ستر، أي يكون مستوراً بينه وبين ربه، وحساب الكافر فضيحة، أي يكون على رؤوس الأشهاد جميعاً، ويرى الناس؛ كل الناس الهوان والذل الذي يصيب الكفار، وكيف ينزعون من أماكنهم، وكيف يُهانون ويُجرّون على وجوههم.

وبعض الناس يتساءل: بأي لغة سيكون الحساب؟ مع أن لغات الناس مختلفة في العصر الواحد فكيف بها من عهد آدم حتى يوم القيامة؟

نقول: إن الله سبحانه وتعالى سيخاطبنا بلغة نفهمها جميعاً من عهد آدم إلى يوم القيامة، والله قادر على ذلك كما هو قادر على أن يجعلنا نفهم لغة أيدينا ولغة الجماد ولغة الملائكة، كل خلق الله في ذلك اليوم سيتحدثون لغة واحدة، فالله سبحانه وتعالى هو الذي علم الإنسان اللغة قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

ومن العجيب أنه لا يمكن لأي إنسان أن يتعلم إلا إذا بدأ تعليمه بالأسماء، ولذلك في كل أنحاء العالم عندما يبدأون تعليم الطفل الصغير؛ يعلمونه الأسماء، فيقولون هذا كوب، وهذا بحر، وهذا جبل، وهذه مائدة إلى آخر ذلك، وبدون هذا التعليم الذي أعطاه الله لآدم، لا يمكن أن يتعلم طفل شيئاً، وأول لغة في العالم هي التي علمها الله سبحانه لآدم، لأن اللغة تُسمع ولا تورث، ولذلك كما قلنا من قبل، إنك إذا أتيت بطفل إنجليزي وربيته في بيئة عربية فإنه يتكلم العربية، وإذا أخذت طفلاً عربيا ووضعته في بيئة إنجليزية فهو يتكلم الإنجليزية.

إذن.. فلابد أن آدم سمع من الله قبل أن يتكلم، أي أن الله سبحانه وتعالى أعطاه القدرة على التعبير، ولذلك في يوم القيامة تختفي اللغات كلها، ولا تبقى إلا لغة واحدة يعلمها الله للخلق فيتحدثون جميعاً بها، حتى يعلم الكل كلام الكل، كما أن هذه اللغة سيكلمنا الله تعالى بها. واسمع لقول رسول الله

ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»[١].

وروي أن الله تعالى يقول له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟

فيقول: بلى.

فيقول الله: ألم أعطك مالاً وولداً وفضلاً؟

فيقول: بلى.

فيقول: ألَمْ أكرمْكَ وأسَوِّدْكَ وأزوجْكَ وأُسَخِّرْ لك الخيل والإبل؟

فيقول: بلى.

فيقول الله: أفظننت أنك مُلاقِيَّ؟

فيقول: لا.

فينظر عن يمينه فلا يَرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يَرَى إلا جهنم. فيستغيث بربه، فيقول له الله: اليوم أنساك كما نسيتني.

ثم يُقال للكافر: الآن نبعث شاهدنا عليك. فينظر يمينا فلا يرى أحداً، ويساراً فلا يرى أحدا. فيتفكر في نفسه: من ذا الذي سيشهد عليه. فيختم على فيه، ويقال ليديه ورجليه ولحمه وعظمه: انطقي فتنطق بعمله»[٢].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٦٥٣٩]، ومسلم [١٠١٦/ ٦٧] ولفظه: عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة». ورواه الترمذي [٢٤١٥]، وأحمد في المسند [٤/ ٣٧٧]، وابن حبان في صحيحه [٧٣٧٣]، والطبراني في الكبير [١٧/ ٨٢/ ١٨٤].

وروى الترمذي [٢٤٢٧] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «يُجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَجٌ فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول الله له: أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك.. فماذا صنعت؟ فيقول يا ربِّ جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان، فارجعني آتك به. فيقول له: أرني ما قدمت، فيقول: يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به كله، فإذا عبد لم يُقدِّم خيراً فَيُمْضَى به إلى النار»، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي [٤٢٧].

(٢) أخرج مسلم [٢٩٦٨/ ١٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله! هل نَرى رَبَّنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُضارُّنَ في رُؤيَةِ الشمس في الظهيرة، ليست في سَحابَةٍ؟». قالوا: لا. =

= قال: «فهل تُضَارُّنَ في رُؤيَةِ القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟».
قالوا: لا.
قال: «فَوَالذي نفسي بيده لا تُضَارُّونَ في رؤية ربكم إلا كما تُضارون في رؤية أحدهما».
قال فيَلْقَى العبد فيقول: أي فُلْ! ألم أُكْرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لك الخيل والإبل، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَع؟
فيقول: بلى.
قال فيقول: أفظننتَ أنك مُلاقِيَّ؟
فيقول: لا.
فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.
ثم يَلْقَى الثاني فيقول: أي فُلْ! ألم أُكْرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لك الخيل والإبل، وأذرك تَرْأَسُ وتَرْبَع؟
فيقول: بلى. أي رَبِّ!
فيقول: أفظننتَ أنك مُلاقِيَّ؟
فيقول: لا.
فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.
ثم يَلْقَى الثالث فيقول له مثل ذلك.
فيقول: يا رب! آمنتُ بك وبكتابك وبرُسُلِكَ وصَلَّيتُ وصمت وتصدقت.
ويُثْني بخير ما استطاع فيقول: هَهُنَا إذاً.
قال ثم يقال له: الآن نبعثُ شاهِدَنَا عليك. ويتفكر في نفسه. مَنْ ذا الذي يشهدُ عليَّ. فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي. فتنطق فَخِذُهُ ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ.
وذلك المنافق، وذلك الذي يَسْخَطُ اللّه عليه».

obeikandl.com

أول ما يحاسب عليه العبد

أول ما يحاسب عليه العبد هو إيمانه باللّه، فإن كان قد آمن، يبدأ الحساب على تنفيذ متطلبات الإيمان، وأول متطلبات الإيمان هي الصلاة، ذلك هو المطلوب الدائم من العبد، الذي لا يسقط أبدا، فالصلاة قائمة دائمة لا تسقط، فالحج يسقط بعدم الاستطاعة صحيًا أو ماديًا، والصوم يسقط بالمرض والسفر، والزكاة تسقط بعدم وجود المال، ومعلوم أن كلمة التوحيد؛ التي هي: شهادة أن لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، تُقال مرة واحدة في بداية دخول العبد في الإيمان، وإن كان يستحب ذكرها بعد ذلك كنوع من العبادة وتجديد الإيمان، ولكن الصلاة لا تسقط عن الإنسان مريضاً كان أو سليماً، غنيًا كان أو فقيراً، مسافراً كان أو مقيماً في مكانه، فهي المطلوب الدائم للإيمان، ولذلك إذا صلحت الصلاة صلح عمل العبد[1].

---

(١) روى مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فإن قُبلت منه، نظر فيما بقي من عمله، وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله.
وروى أبو داود [٨٦٤]، وأحمد في المسند [٢/ ٤٢٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٦٢]، والبيهقي في الكبرى [٢/ ٣٨٦/ ٣٨١٣] مرفوعاً بهذا المعنى عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يُحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة. قال: يقول ربُنا عز وجل لملائكته: «انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها، فإن كانت تامةً كُتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوعٌ، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم».
وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٧٧٠].
قال أبو عمر بن عبد البر رحمه اللّه: أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك ـ واللّه اعلم ـ فيمن سها عن فريضة فلم يأتِ بها، أو لم يحسن ركوعَها وسجودها، ولم يدر قدر ذلك. وأما من تعمد تركها أو شيئاً منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً، واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له، فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه، واللّه أعلم.
وأخرج البخاري [٦٨٦٤]، ومسلم [٢٨/ ١٦٧٨] والترمذي [١٣٩٧]، وابن ماجه [٢٦١٥] عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه تعالى عنه قال، قال رسول اللّه ﷺ: «أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء.
=

ويوم القيامة كما يكون هناك حساب على حقوق الله، يكون هناك حساب على حقوق العباد، وإذا كان الحساب على حقوق الله هو على المعاصي وعلى مخالفة منهج الله، فالحساب على حقوق العباد يكون على ظلم الناس في الدنيا، والاعتداء على حقوقهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم. . . إلخ.

وعلى كل مسلم أن يؤدي ما عليه للناس قبل ذلك اليوم، حيث لا درهم فيه ولا دينار، ليس فيه سوى حسنات وسيئات[١].

= وروى النسائي في الكبرى [٢/ ٢٨٥/ ٣٤٥٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضي بين الناس الدماء».

(١) أخرج مسلم [٢٥٨٢/ ٦٠] والترمذي [٢٤٢٠]، وأحمد في المسند [٢/ ٢٣٥]، والبيهقي في الكبرى [٦/ ٩٣/ ١١٢٨٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

وأخرج البخاري [٢٤٤٩]، وأحمد في المسند [٢/ ٥٠٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه».

وروى ابن ماجه [٢٤١٤] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه دينارٌ أو درهم قضي من حسناته ليس ثَمَّ دينار ولا درهم». وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [١٩٥٨]: صحيح.

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «يحشر الله العبادَ أو قال الناسَ ـ شك ـ وأومأ بيده إلى الشام عراةً غُرْلاً بُهماً»

قال: ما بُهماً؟

قال: «ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد ومن قرب، أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النارَ وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة».

قال: قلنا: كيف وإنما نأتي لله عراةً حفاةً.

قال: «بالحسنات والسيئات».

قال القرطبي في التذكرة [١/ ٣٠٦]: هذا الحديث الذي أراد البخاري بقوله: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد[١]. =

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد [٩٧٠]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد [٧٤٦]، وذكره في الصحيح تعليقاً [١٥/ ٤١٩ فتح] حديث رقم [٤٧٨١].

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «أتدرُونَ مَا المُفْلِسُ؟».

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

= وذكر سفيان بن عيينة عن مسعر عن عمرو بن مرة قال: سمعت الشعبي يقول: حدثني الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق، قال: إن أهل الدَّين في الآخرة أشد تقاضيا له منكم في الدنيا، يحبس لهم فيأخذونه. فيقول: يا رب ألست تراني حافياً؟ فيقول خذوا من حسناته بقدر الذي لهم فإن لم يكن له حسنات يقول: زيدوا على سيئاته من سيئاتهم[1].

وروى أبو داود [٣٣٤١] من حديث سمرة رضي الله تعالى عنه وفيه: «... إن صاحبكم مأسور بدينه...» وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٢٨٥٨]، وروى البغوي [٢١٤٨]، والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد [٤/ ١٢٩] من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «صاحبُ الدَّين مأسورٌ يومَ القيامة بالدين».

وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال: دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخز واليمنة قد سبقوني إلى المجلس، فقلت يا عبد الله من أجل أني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني، قال: ادن فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعته يقول: يؤخذ بيد العبد أو الأمة فيُنصب على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة بأن يُدَوْنَ لها الحق على ابنها أو أختها أو أبيها أو على زوجها، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فيقول الرب تعالى للعبد: ائت هؤلاء حقهم.

فيقول: يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته.

فإن كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير، ضاعفها حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وإن كان عبداً شقيًّا، قالت الملائكة: رب فنيت حسناته وبقي طالبون، فيقول للملائكة: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكا إلى النار[2].

وعنه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليكون =

---

(١) ذكره في البدور السافرة [ص: ٢٨٧]، نقلاً عن أبي نُعيم.

(٢) رواه المروزي في الزهد [ص: ٤٩٧]، وابن أبي الدنيا في الأهوال [٢٦٠]، وابن جرير في تفسيره [٥/ ٥٧، ٥٨] وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير [١/ ٤٩٧] وقال ابن كثير: ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح، وهو موقوف، ورجال إسناده موثقون.

فقال: «إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقْضى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طُرح في النار»[(١)].

وذلك يعني: أن المفلس هو الذي يُذهب طيباته بالاعتداء على الناس.

= للوالدين على ولدِهما دين، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثرَ من ذلك»[(١)].

وروى رزين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه، فيقول: مالَك إليَّ وما بيني وبينك معرفة؟ فيقول كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني[(٢)].

وروى ابن ماجه [٤٠١٠] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: «لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرةُ البحر، قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم. فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَرُ إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون؛ فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً؟ قال: يقول رسول الله ﷺ: صدقتْ صدقتْ كيف يُقدِّس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟» وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه [٣٢٣٩].

(١) أخرجه مسلم [٢٥٨١/ ٥٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٣٥٥] وقال: رواه الطبراني عن عمرو بن مخلد عن زكريا الأنصاري ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثقوا على ضعف بعضهم.

(٢) ذكره في البدور السافرة [ص: ٢٩١] نقلاً عن رزين.